

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

وصف الرحالة الأوروبيين للوضع السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني European Travelers' Description of the Political Situation in Algeria during the Ottoman era

حواء حنكة henka haoua، عبد القادر كركر Zabdeldkader kerker

1 طالبة دكتوراه، جامعة الوادي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، مخبر تاريخ الجزائر الاقتصادية والاجتماعية عبر العصور.

PhD student, University of El Oued, Faculty of Humanities and Social Sciences, Algeria's economic and social history through the ages.

henka-haoua@univ-eloued.dz

2 أستاذ محاضراً، جامعة الوادي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، مخبر تاريخ الجزائر الاقتصادية والاجتماعية عبر العصور.

Lecturer A, University of El Oued, Faculty of Humanities and Social Sciences, Algeria's economic and social history through the ages.

adelkader-kerker@univ-eloued.dz

الإيميل: henka-haoua@univ-eloued.dz

المؤلف المرسل (باللغتين): حواء حنكة: henka haoua

تاريخ القبول: 2022-12-22

تاريخ الاستلام: 2022-08-10

المخلص:

كانت الجزائر خلال الفترة العثمانية مقصد ومحج الكثير من الرحالة الأوروبيين، الذين أوفدوا إليها لأسباب ظاهرة وأخرى خفية، خلفوا مؤلفات تنوعت معلوماتها حسب الهدف من الرحلة، ولأن أغلبهم إنما جاؤوا بدافع الجوسسة والتوسع، فقد أولى الوضع السياسي اهتماما كبيرا، فكتبوا العديد من التقارير والرسائل والمذكرات، تم نشرها وترجمتها إلى لغات عدة، والهدف من البحث هو الاطلاع على هاته النصوص وإظهار أوجه التوافق والتمايز بين ما هو موضوعي، وبين ما هو ذاتي تغذيه الروح الاستعمارية التوسعية، وقد توصل البحث إلى أن هاته الكتابات لم تسلم ضمينا في كونها تجسسية، اعتمدت عليها الدول الأوروبية في خططها الكولنيالية.

الكلمات المفتاحية: الجزائر، الفترة العثمانية، الرحالة الأوروبيين، مؤلفات، الروح الاستعمارية.

Abstract:

During the Ottoman period, Algeria was the destination and pilgrimage of many European travellers, who were sent to it for apparent and hidden reasons, leaving literature whose information varied according to the purpose of the journey, and because most of them came out of espionage and expansion, the political situation paid great attention, writing many reports, letters and memoirs, which were published and translated into several languages. The aim of the research is to see these texts and to show the compatibilities and distinctions between what is objective and what is subjective, fuelled by the expansionist colonial spirit, The research found that these writings were not implicitly extradited as espionage, on which European states relied in their colonialist plans.

Keywords: Algeria, the Ottoman period, European travellers, literature, colonial spirit.

من طرف الرحالة الأوروبيين، خصوصا الرحالة المبعوثين من قبل جهات رسمية، وتناولوا في مراسلاتهم ما تعلق بالتنظيمات المعمول بها لتولي الحكم، الثورات والتمردات ضد السلطة، و الأحداث المتعلقة بتعاملها مع الدول الأوروبية، وما يترتب عليها من معاهدات واتفاقيات، الأمر الذي يدفعنا إلى طرح الإشكالية التالية: كيف صور الرحالة الأوروبيون الوضع السياسي للجزائر خلال العهد العثماني، وما هي القضايا السياسية التي طغت على كتاباتهم؟

ولمعالجة هذا الموضوع وجب التطرق إلى أن الرحلات الأوروبية التي اهتمت بالجانب السياسي إنما يقودها في معظمها الأطماع الاستعمارية التي قدموا من أجلها، أو تحقيقا للأهداف الخاصة بالجهات التي أوفدوا من قبلها، فجاءت أغلبية هاته الكتابات تفتقر إلى الصدق والموضوعية في

مقدمة:

كانت الجزائر كسائر بلدان المغرب العربي مقصدا للعديد من الرحالة الأوروبيين، الذين قدموا إليها إما بمختلف أهدافهم (العلمية أو الدينية أو الاستطلاعية أو الدبلوماسية)، وطوال فترة مكوثهم أنتجوا مؤلفات عدة، تطرقوا فيها للعديد من القضايا، وتحديثا عن مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية والثقافية، وإن تجاوزنا الوضع الجغرافي والملاحظات الشخصية، فإن هاته الرحلات يمكن أن تصنف حسب الغرض الذي كتبت من أجله إلى رحلات ذات طابع سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي ...

ولأن شراهة الحصول على مستعمرات باتت في أوجها في الفترة العثمانية، فقد نال الوضع السياسي اهتماما مضاعفا

البعير والناقة، وجمعه أرحل ورحال، ورُحْل البعير يرحله فهو مرحول ورحيل، وارتحلته: أي جعل عليه الرّحْل، والرحالة في أشعار العرب: السرح² بينما في المعجم الوسيط (رحل): بمعنى رحل عن المكان، والعرب الرُّحْل: الذين لا يستقرون في مكان ويجلبون ماشيتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى³.

إذن وحسب الشروح المفرداتية في القواميس اللغوية، الرحلة في جوهرها حركة، بيد أنها تختلف عن الحركة العادية، فهي حركة ترتبط بالمسار الذي لا يعتبر اعتباريا، ولا يعد اختياره من قبل التقليد والعادة والاتباع، فالرحلة جزء أصيل من حركة الحياة على الأرض، وهي وسيلة هامة لاكتشاف العالم والإنسان⁴.

ثانيا: الرحلة (تدوين)

يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده وعاشه من أحداث، من خلال تدوين وتدقيق يومي للمشاهد، وإذ أننا لا نفرق بين المعنيين الأول والثاني، ولا ينبغي أن ننف العلاقة بينهما، لأن كتابة الرحلة تستلزم القيام بالسفر، كما أنه لا يمكن تصور تدوين رحليّ دون وجود رحلة، فالكتابة الرحلية تواكب انتقال الرحالة إلى أماكن متعددة واصفا إياها في كل المجالات وذاكرا ما لقيه من صعوبات، حاصلًا على الكثير من الخبرات والمعارف ومحققًا للغايات والأهداف⁵.

المحور الثاني: نبذة عن النظام السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني

أولاً: انضواء الجزائر تحت الحكم العثماني

أعطى الحكم العثماني للجزائر اسمها الحديث، بعدما كان مقتصرًا فقط على المدينة مقر الحكومة العثمانية، كما أدخل العثمانيون أيضا مفهوم الحدود السياسية بعد القضاء على الفوضى الداخلية وتوحيد القوى لمواجهة الخطر الأوروبي⁶، وبما أن الجزائر باتت إيالة عثمانية، فقد دُعي للسلطان في المنابر، وضُربت السكة باسمه، وخضعت الجزائر لإدارة خاصة ضمن منظومة وجاقات الغرب، وتم تنظيمها عسكريا، حيث كان الفرسان يؤخذون من بين قدامى الأغوات وأبناء البلاد الأصليين للحفاظ على السلطة فيها⁷.

الطرح، دون أن ننف أن هناك كتابات رحلية اتسمت بالموضوعية والوصف الدقيق من سابقاتها، وحتى هاته الأخيرة إنما كان الهدف من دقة المعلومات ليست الروح البحثية العالية وإنما حتى يتسنى لمبعوثهم الوقوف على الحقائق، لأن الجهات الرسمية تطالب المهتمين بإرسال البعثات الرحلية بمعلومات دقيقة حتى يتسنى لهم دراسة الوضع القائم في الجزائر بشكل واضح ودقيق.

وإن الهدف من دراسة الجانب السياسي للجزائر في الفترة العثمانية من خلال مصادر الرحلة الأوروبية، هو اظهار ومعرفة أوجه التقارب والتباين في آراء الرحالة حول هاته الفترة، وذلك من خلال الغوص فيما كتبه حول الوضع السياسي، من خلال الاستناد على العديد من المصادر والمراجع، وكان لزاما علينا الاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي في بعض المواضع، لتبيين الوضع السياسي القائم في الجزائر، وتبيين آراء الرحالة حوله، ومعالجة المعطيات المتعلقة بكل ما يدور حول نظام الحكم في الجزائر تحت الحكم العثماني، حتى لا نسقط في فخ تسمية الجزائر العثمانية، لأن الدارس لهاته المرحلة سيلحظ أن العثمنة إنما كانت في جهاز الحكم فقط.

وستتم معالجة البحث من خلال التطرق أولا إلى التعاريف المفاهيمية للرحلة لرفع اللبس، لأن المقصودة بالدراسة هي النصوص الرحلية لا الرحلة التي تقوم على الحركة دون تدوين، ثم تطرقنا إلى نبذة عن النظام السياسي الجزائري الذي دونه المؤلفون دون تخصيص أن يكون أجنبيا أو عربيا ، ثم تطرقنا إلى سير الرحالة وزمن وفودهم إلى الجزائر، ثم إلى نصوص الرحالة الأوروبيين حول الوضع السياسي بمختلف تقسيماته، ولأنهم كثر فقد اخترنا الرحالة الأشهر تداولا، ثم ختمناه بمجموعة من النتائج والتوصيات.

المحور الأول: التعريف المفاهيمي للرحلة

أولاً: الرحلة (حركة)

إن المعنى اللغوي للكلمة الذي ورد في قواميس شرح المفردات هو انتقال شخص أو مجموعة أشخاص من مكان لآخر، جاء في لسان العرب لابن منظور (رَحَلَ): هي الترحيل والارتحال أي الانتقال إلى مكان آخر، ويقال رَحَلَ الرجل إذا سار، وهي من يرحل رحلا ورحيلا وترحالا، ورَحَله من بلده أي أخرجه منها¹، بينما في القاموس المحيط (الرَّحَل): مركب

ومشاكلهم، وذلك لأنهم عمدوا طوال فترة وجودهم على إبقاء الأهالي بعيدين عن أي مساهمة في أمور النيابة، وهذا راجع إلى رغبة الأتراك في إبقاء هيمنتهم وسيطرتهم على المناصب الحكومية، ذكر الرحالة الانجليزي توماس شاو: "إن أترك الجزائر لم يكونوا قادرين على إحداث القطيعة بينهم وبين الدولة العثمانية، لأنها تعني تقهقر طائفتهم من الناحية العديدة، ما داموا لا يعترفون بالصفة التركية لأبنائهم من الجزائريات ويرفضون مشاركة الجزائريين في السلطة¹³، وفي نفس السياق ذكر شاو أسباب فصل الكراغلة عن المناصب الحساسة وحرمانهم من التمتع بنفس الامتيازات التي كان يستفيد منها الأتراك العثمانيون، وأرجع ذلك إلى إمكانية ارتباط الجنود الكراغلة عن طريق المصاهرة بالعائلات الجزائرية الأهلية مما يزيد من عددهم، ويشكلون خطرا على الدولة¹⁴، وحفاظا على موقعهم فتبعية الأتراك للدولة العثمانية لم تكن بدافع الضعف، وإنما علاقة تبادل منافع وتضامن ضد العدو المشترك على الرغم أن الدول الأوروبية كانت تتعامل مع الجزائر على أنها ولاية عثمانية¹⁵.

المحور الثالث: الرحلات الأوروبية نحو الجزائر

ومع انضواء الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية وظهورها كقوة إقليمية بارزة في البحر المتوسط، نتيجة النشاط البحري المزدهر بالموارد الوافدة من عمليات القرصنة المادية منها والبشرية (الأسرى)، ولأنها باتت تشكل خطرا بدأت الرحلات الأوروبية تتوافد على الجزائر لاستطلاع الوضع العام الداخلي، فالمعلومات التي يتناقلها التجار لم تكن كافية، هذا الاستطلاع الذي لا يهدف في أساسه إلى المعرفة بأحوال البلاد؛ بقدر ما كان استطلاعا لهزيمة هاته القوة البحرية التي أنهكت البلدان الأوروبية، واستطاعت أن تتفوق على جميع الحملات التي وجهت ضدها، ولم تسلم أي دولة أوروبية من بحارتها الجريئين، يقول دوغرامون "لقد أعطت للعالم مشهدا فريدا لأمة تقاوم بشكل لا يصدق جميع الحملات المستمرة الموجهة ضدها، رغم الثورات الداخلية والفضى اليومية والصراعات بين الانكشارية والبحارة التي كانت ستهك كاهل أي مجتمع آخر"¹⁶، لأجل هذا توافد العديد من الرحالة الأوروبيين الذين تباينت أهداف رحلاتهم بين الاستكشافية والعسكرية والعلمية والتبشيرية وغيرها... غير أن هذه الرحلات في مجملها تلتقي في نقطة مهمة ألا وهي محاولة التقرب من الآخر الجزائري والتعرف عليه

كما قسمت البلاد إلى ثلاث أقاليم (قسطنطينة، وهران، التيطري) لكل إقليم عملة خاصة به وله مجلسان استشاريان (مجلس الشورى والديوان)، ولقد ذكر وليام شالر ذلك في حديثه عن مملكة الجزائر " أنها تنقسم من الناحية السياسية إلى ثلاث ولايات، وهران في الغرب والتيطري في الجنوب وقسطنطينة في الشرق..."⁸، اعتمدت الإدارة العثمانية في عهد البايبريات على طائفة رياس البحر، الذين تولى عدد منهم مناصب عليا في الدولة، واعتبر هذا العهد من أزهى عهود الحكم العثماني، بفضل التعاون بين فئة الرياس في القيادة وأبناء الجزائر، بالإضافة إلى الدور المزدوج المتمثل في تدعيم خزينة الإيالة وتوفير الأمن وحمايتها، كما تم فيه توحيد الجزائر سياسيا⁹، بينما في عهد الباشوات فقد كان على رأس الدولة والي تعيينه الحكومة العثمانية لمدة ثلاث سنوات، تميز هذا العهد بازدهار القوة البحرية وسمحت الحكومة بدخول الامتيازات الأجنبية الى الأراضي الجزائرية. أما في عهد الأغوات فقد استأثر اليولداش بالحكم وكانوا ينتخبون لمدة شهرين ثم يتم تغييرهم، وحول هاته المرحلة تحدث دوغرامون "ينقسم تاريخ إيالة الجزائر إلى ثلاث فترات حكم البايبريات والباشوات والدايات، إننا نتجاهل عن عمد الحديث عن الأغوات، الذين استمر حكمهم اثني عشر عاما وكانوا بالمعنى الصحيح مجرد أعمال شغب طويلة للميليشيات" وفي العهد الأخير للحكم العثماني تولى الحكم الدايات وهم من فئة رياس البحر يتم انتخابهم مدى الحياة¹⁰.

ثانيا: النظام السياسي والهيمنة العثمانية

تميز وجود الأتراك العثمانيين في الجزائر بهيمنة تكاد تكون مطلقة للإدارة والجيش والاقتصاد، بينما تم تهميش السكان واخضاعهم للضرائب والغرامات المالية، حيث ترسل فرقة المحلّة لتحصيلها ولفتح مصادر تمويل جديدة بإخضاع المزيد من الأهالي¹¹، عدا بعض الأقليات ممن ارتدوا عن المسيحية أو من اليهود الذين حضي بعضهم بامتيازات وارتقاء إلى أعلى المناصب والترتب في هرم السلطة، تحدث الرحالة الألماني جوهان أرنست هابنسترايت عن هذا قائلا: " الحكومة بيد الأتراك... ينظرون إلى الجزائريين نظرة يشوبها الاحتقار وينعتونهم بأنهم مجموعة من العصاة والخارجين عن القانون¹²، أما النظام الجزائري فقد ظل قابعا تحت سلطتهم، منعزلا عن كل ما يحيط به، بعيدا عن هموم الناس

تعين كهنة بالقرب من القنصل كقساوسة منذ عام 1650²⁰ صاحبه في بعض من رحلاته العالم هابنسترايت، تعرف على البلاد الجزائرية وسجل ملاحظاته بعناية ودقة، ونشر كتابه "الجزائر قبل قرن من الاحتلال"²¹.

ثالثا: جان أندري بايسونال

ولد في مرسيليا عام 1694م، زاول دراسته الابتدائية بمسقط رأسه، ثم أتمها بباريس أين وجد العناية من أحد أصدقاء العائلة الكونت مارسيلي الذي وجهه لدراسة التاريخ الطبيعي²²، واصل أبحاثه في علم النبات، وأصبح عام 1723م مراسلا لأكاديمية العلوم بباريس، زار تونس والجزائر بين عامي 1724-1725م بأمر ملكي، أثناء زيارته للجزائر قام بايسونال بدراسة طبيعة المرجان، كما بحث حول مرض الطاعون الذي أودى بحياة والده عندما انتشر بمرسيليا ما بين أعوام 1720م-1722م، ألف كتابا حول رحلته سماه "قصة رحلة على سواحل برابارا"²³، وقد شمل العديد من الملاحظات العلمية الهامة، بالإضافة الى فهم النظام السياسي بالجزائر، جاءت هذه الرحلة على شكل رسائل بعث بها الرحالة إلى الأب لينون، غير أن هذه الرحلة لم تظهر إلى النور ولم تنتشر إلا بعد مضي قرن من الزمن عام 1838م.²⁴

رابعا: مارمول كاريخال

رحالة وسائح ومؤرخ وراهب اسباني ولد بغرناطة في أوائل القرن السادس عشر، غادر مسقط رأسه في سن صغيرة، سار في ركاب جيش الامبراطور شارلكان نحو تونس عام 1535م، وبعد مغادرة الأسطول الاسباني ظل مارمول في شمال افريقيا على إثر مهمة كلفه بها²⁵، أسر فيها من طرف السعديين مدة سبع سنوات وثمانية أشهر، دامت إقامته اثنان وعشرون عاما في شمال افريقيا، واستطاع أن يؤلف كتابه الذي كان مبنيا في أساسه على ما كتبه حسن الوزان "وصف افريقيا"²⁶

خامسا: فونتير دي باراداي

فرنسي الأصل، ولد يوم 8 ماي 1739 بمدينة مرسيليا، لم يكد يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى استفاد من منحة دراسية إلى باريس لتعلم التركية والعربية²⁷، قام لويس السادس عشر برفعه إلى منصب مترجم اللغات الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية، أرسل بعدها إلى الجزائر سنة 1788م، بغرض إنجاح مفاوضات تتعلق بأمور تجارية، حيث

عن قرب بغية القضاء عليه، ولو أن لمؤرخ لوسيت فالنسي لديه تيرير غريب حين يذكر في مقدمة كتابه *du Voyage les régences de Tunis et d'Alger de "dans Desfontaines Peyssonnel"* إلى مخاطر التفسير غير المبرر الذي من شأنه أن يجعل هؤلاء الرحالة ملهبي الاستعمار، إنه يدعونا إلى تجاهل أي رؤية غائبة، إذ لم يكن الرحالة في القرنين السابع والثامن عشر، يعرفون أن أوروبا ستبني أنظمة استعمارية في المناطق التي كانوا يزورونها¹⁷ ولقد أوردنا بعض الرحالة في ورقتنا البحثية، ولعلنا ركزنا على الرحالة المبعوثين دون التطرق إلى المغامرين والضباط والقنصل والأسرى لأن الموضوع شاسع ولا يمكن إحصاء ما ورد عند جميع من توافدوا إلى الجزائر لاختلاف تخصصاتهم وطبيعتهم وجودهم أولا وإلى غزارة تأليفهم ثانيا، والتي تناولت جميع مناحي الحياة، لهذا اقتصرنا على ذكر ما جاء عند بعض الرحالة المبعوثين إما من طرف الملوك أو الأكاديميات العلمية. وسنورد السير الذاتية للرحالة الذين تواتر ذكرهم في البحث.

أولا: لوجي دي تاسي

رحالة فرنسي زار الجزائر عام 1718م بعد تعيينه فيها مستشارا للقنصلية، وغادر بعد اقامة دامت ست أشهر، من المرجح أن مغادرته المفاجئة كان بسبب البواء والمجاعة التي اشتدت واستفحلت بالإيالة، ذكر دي غرامونت أنه وبعد استلام محمد بن حسن منصب داي الجزائر عام 1718م، إضافة إلى ما كان موجودا في الإيالة من الاضطرابات السياسية والعلاقات الخارجية المتقلبة ظهر قحط شديد ومجاعة إلى الحد الذي بيع فيه لحم البشر في الأسواق، هاته المجاعة التي اشتدت واستمرت لثلاث سنوات كاملة¹⁸، بعد عودته لبلاده بسنتين نشر كتابه "تاريخ مملكة الجزائر حكومتها وقواتها البرية والبحرية، ومداخلها، الشرطة، القضاء، السياسة، التجارة".

ثانيا: توماس شاو

عالم وجغرافي وكاهن، ولد في كندل بإنجلترا عام 1692م، كان شاو مهتما بالتاريخ الطبيعي، وكان عضوا في إكليروس الكنيسة، كما كان منتسبا للسلك الديني لدى البعثات والمؤسسات البريطانية التجارية، عين قسيسا في القنصلية البريطانية في الجزائر من عام 1720م إلى 1732م¹⁹، لأنه تقرر منذ أن تكون بعثات مقيمة، ولهذا تم

الشأن كتابه المشهور "تاريخ بربريا و قراصنتها" أدرج فيه معلومات متعلقة بدخول الباشا الجديد إلى المدينة والاحتفالات المقامة لهذا المناسبة، وتطرق إلى أوضاع مملكة الجزائر ومدنيتها ودورها القرصاني، كما تطرق إلى الجيش والتحصينات³⁴.

ثامنا: بوتي دولاكروا

مستشرق فرنسي تقلد منصب سكرتير وترجمان الملك لويس 14 في عام 1650م، وسافر نحو المشرق من أجل التعمق في الدراسات العربية والتركية بأمر ملكي، وبعد مشوار حافل لبتي دولاكروا في الدراسات الاستشراقية، فتحت له الأبواب لتقلد عدة مناصب تتعلق بهذا المجال، أرسل عام 1682 م إلى الجزائر من أجل التفاوض على السلم، استطاع ببتي دولاكروا أثناء رحلاته المتكررة إلى الجزائر أن يقدم وصفا لهذه المدينة، قام مارسيل إيميريت بنشرها في حوليات معهد الدراسات الشرقية عام 1953م، تحت عنوان "مذكرة عن الجزائر لبتي دولاكروا"³⁵.

المحور الرابع: الوضع السياسي للجزائر في مؤلفات الرحالة

الأوروبيين

أولا: مملكة الجزائر

كثيرا ما ذكر ج. أ. هابنسترايت في مؤلفاته كلمة (مملكة الجزائر) وتدل هاته الصيغة على أن الألمان كانوا يعترفون بقوة الجزائر على مستوى البحر الأبيض المتوسط وأنها دولة فرضت وجودها السياسي والاقتصادي على دول أوروبا وأمريكا³⁶، وصرح أيضا أن مدينة الجزائر من أهم مدن إفريقيا وأكثرها قوة، إذ واجهت في كل الأوقات جيوش أعتى الدول³⁷، يؤيده الدكتور شاو بقوله " بأنها تعد من أهم الحكومات العثمانية في إفريقيا، يحدها من الغرب تطوان وجبال درارا، جنوبا الصحراء، شرقا نهر الزياتي، وشمالا البحر البيض المتوسط"³⁸ إن تقارب ما وورد عند هابنسترايت والدكتور شاو، يحيلنا مباشرة إلى زيارتهما للجزائر في نفس الفترة، وقد ذكرت في سيرة توماس شاو أنه التقى بهابنسترايت، ولا نستبعد أن أحدهما قد أخذ عن الآخر.

بينما الجغرافي خادم الملك الفرنسي نيكولاس دي نيكولاي والذي زار الجزائر عام 1550م، ضمن بعثة الملك الفرنسي الجديد هنري الثاني³⁹ فكتب: "الجزائر مدينة افريقية جد

مكث سنتين وأستفاد من أوقات فراغه بمتابعة بحوثه حول اللغة البربرية التي أثمرت تأليفه لكتاب في قواعدها ومفرداتها²⁸ ألف كتابه " الجزائر في القرن 18م" مقسم إلى خمس مجلدات تحدث فيه عن الجزائر(موقعها، أحيائها، تجارتها، ثكناتها، ديوانها، وعلاقاتها)، نشر بعد وفاته بالمجلة الافريقية في أعداد متوالية متتالية، 39-40-41.²⁹

سادسا: جوهان أرنست هابنسترايت

طبيب وعالم نبات ألماني، ولد 15 جانفي 1702م في نوشتادار أون أورلا الواقعة بمنطقة الساكس بالممالك الجرمانية³⁰، درس الطب في شبابه بجامعة يينا واستقر ببلايزغ، و تحصل أخيرا على الدكتوراه في الطب عام 1729م، وفي جوان عام 1731م عين في الأكاديمية الألمانية للعلوم في تيو بوندينا، أرسل من طرف الملك البولوني وناخب الساكس أغسطس الثاني على رأس فرقة بحث إلى بلدان شمال إفريقيا(الجزائر، تونس، طرابلس) وكانت التعليمات التي أعطيت لهابنسترايت (نطق الاسم بالألمانية) أن يرسل التقارير دوريا³¹، تزامنت رحلة هابنسترايت بفترة قد شهدت هيمنة الجزائر على البحر الأبيض المتوسط بعيدا عن التدخل المباشر للسلطة العثمانية التي كانت تشكل آنذاك مركزا للدولة الإسلامية المترامية الأطراف، يقول سعيدوني " جاءت رحلة "هابنسترايت" في شكل رسائل وجهها الى راعي الرحلة ملك بولونيا ومنتخب الساكس يطلعه فيها على ما شاهده أو تعرف عليه أو جلب انتباهه في أثناء سفره الى الجزائر"³²

سابعا: الأب بيار دان

هو راهب فرنسي ولد عام 1580م، حاز على شهادة البكالوريا في علم اللاهوت من جامعة باريس، وانخرط في سلك الرهبنة لمنظمة الثالوث المقدسة، والتي خصصت ثلث مداخيلها لتحرير الأسرى الأوروبيين، حيث تم تحرير حوالي 6 آلاف أسير بفضلها، اشتغل دان بعدها رتبة رئيس للمنظمة في بلدة شيل الفرنسية في عهد لويس الثالث عشر وفي هذا الإطار قام برحلة إلى الشمال الإفريقي ضمن بعثة المنظمة من أجل تحرير الأسرى الفرنسيين بكل من الجزائر وتونس³³، أما بالنسبة لرحلته إلى الجزائر فقد كانت بتاريخ 12 جويلية 1634م، تمكن دان من خلالها تحرير 42 أسيرا، وألف في هذا

وفي هذا الصدد أيضا يقول بيار دان " لما علم عروج بتأمر سليم التومي ضده، خنقه في الحمام، ولما انتشر خبر موته والذي لا يستطيع سكانها أن ينسبوا السبب إليه، تظاهر عروج بالأسف وأمر بمعاقبة الفاعلين"⁴⁶ والسيء في الأمر أنه اخترع قتلة من الجند وأمر بإعدامهم على مرأى عيني ظفيرة، لكنها أبقت على رأيها الراض للارتباط به.

وهنا نخرج باستنتاج أن أغلب ما أوردناه من نصوص للحالة، يوضح أن انضمام الجزائر للإمبراطورية العثمانية، جاء بعد استنجد الأهالي بخير الدين لتخليصهم من خطر الاسبان، الذي قرر أن يكون تحت لواء العثمانيين شريطة تنصيبه كبيلرباي، والحقيقة أن العثمانيين أنفسهم قد رحبوا بانضمامهم تحت لواءهم، لأنهم تعمدوا وضع بلاد المغرب كمواقع قريبة من نطاق الإمبراطورية الإسبانية منعا من توسعها شرقا، وعلى هذا الأساس بات حظ المستغيثين الجزائريين "كالمستجير من الرمضاء بالنار"

ثانيا: الحكام وتوليهم

يذكر توماس شاو حول تولية الداوي: "الداي حاكم مستقل، علاقته مع الباب العالي علاقة تحالف فقط، لا يتلقى منه أي أوامر إلا بعض المبعوثين الخاصين، إنه سيد مطلق، لا يقدم تقريرا لأحد عن سياسته أو طريقة تسييره... أما البايات فهم كالملوك، لأنهم أقل عرضة للمخاطر من الدايات، همهم هو الاغتناء وجمع أكثر ثروة ممكنة على حساب عائدات البايك والشعب"⁴⁷، ويذكر أيضا: "نظام الحكم في الجزائر جمهوريا وعسكريا، فهو جمهوري لأن الباشا كان ينتخب مدى الحياة، دون أن يكون حكمه وراثيا، وعسكري لأن الشخص المنتخب كان من بين أفراد الجيش الذين هيمنوا على مقاليد الحكم، وانفردوا بتعيين من يرصونه للحكم، وعزل وقتل من لا يخدم أهدافهم دون بقية سكان البلد"⁴⁸، ونتيجة للانقلاب أصبح بقاء الباشا المعين محددًا بفترة زمنية قصيرة، تحدث لوجي دي تاسي حول هاته النقطة " تم اغتيال خمس دايات في يوم واحد بسبب الصراع الذي نشب بين الجنود الانكشارية بعد اغتيال الداوي محمد بكير باشا (1748-1754) ودفنوا جميعا عند باب الواد بعد التمثيل بجثثهم"⁴⁹.

كما يذكر ج. أ. هابنسترايت أيضا "الباب العالي يرسل إلى الجزائر باشوات يمثلون السلطان حتى سنة 1710م، وعندما

قديمة، أسست أولا من قبل شعب افريقي يسمى مزغنة والذي أخذت اسمه الأول، ثم صارت فيما بعد مجمع اتخاذ القرارات"⁴⁰ وعن كون الجزائر باتت مجمع القرارات للأب بيار دان رأي آخر في مملكة الجزائر التي رأى أنها حكومة تفتقر إلى الحكمة وبالتالي ما ينتج عنها هو طائش وغير محسوب " قال أفلاطون الذي يتحدث عن سعادة الجمهوريات، وبقدر كبير من العقل والحقيقة، أنهم سيكونون سعداء عندما يجد الحكماء هناك، أو أن الملوك سيتعلمون التفلسف، لكن يبدو أن ولاية الجزائر تعارض هذه العقيدة بشكل مباشر، لأن أولئك الذين يمتلكونها يعيدون عن امتلاك أدنى ما يلزم من الأمور التي تجعل الحكمة ضرورية"⁴¹

أما حول ظروف الحاق الجزائر بالدولة العثمانية فيقول ج. أ. هابنسترايت: "إن الأتراك افتكوها من الاسبان الذين كانوا يحتلون وهران، فدخلها الإخوة بربروس، وأعلن عروج نفسه ملكا بعد اغتيال سليم التومي، غير أنه لما توفي خلفه أخوه خير الدين، الذي اعترف بسيادة الدولة العثمانية على البلاد الجزائرية، بسبب الخطر المحدق وعزم الاسبان على احتلال مدينة الجزائر"⁴²، بينما ذكر الاسباني مارمول كاربخال أو كارفاجال: "أن مدينة الجزائر كان يحكمها سالم التومي، ولما علم هذا الأخير بقدم الإخوة بربروس وخشية قتله هرب مع أعضائه، فكتب إليه خير الدين يطلب منه العودة، ويخبره بأنه ما جاء إلا لمحاربة المسيحيين"⁴³، وحول موت عروج كتب كاربخال: "لما بلغ أترك الجزائر موت عروج نصبوا خير الدين مكان أخيه، فاتخذ اسمه وهو الذي أحرز انتصارات عظيمة على المسيحيين والمغاربة برا وبحرا"⁴⁴

بينما لوجي دي تاسي فتحدث عن كيفية استيلاء الأخوين عروج وخير الدين على الحكم في الجزائر، مهما أي سبب ديني أو سياسي قائلا: "أن عروج اغتال ابن التومي، لأنه أعجب بزوجه ظفيرة فقتله بغرض الزواج منها"⁴⁵.

وإننا نرجح صحة هاته الجزئية لأننا اطلعنا على العديد من المراسلات بين عروج وظفيرة (هناك من يسميها زفيرة) وهي مراسلات منشورة في المكتبة الوطنية الإسبانية، بعد مقتل زوجها يطلب منها الزواج وتنصيبها على العرش ملكة، لكنها أثرت العودة لديارها بدلا من الارتباط بقاتل زوجها.

أن يتعرض للاغتيال ولي صالح، ويصبح قبره محل تقدير لكون هاته النهاية نادرة⁵⁶، أورد الدكتور شاو في نفس السياق " أن الداى في حذر شديد ودائم من المؤامرات التي تحاك من طرف الطائفة العسكرية للإطاحة بحكمه، أما إن قتل فإن أسرته تهان وتسلب أمواله وتغتصب أملاكه وتحرم نساؤه من كل ما تملك، وتخفص رواتب أبنائه إلى راتب جندي بسيط، ويحرمون من كل العطايا⁵⁷، تحدث الرحالة والدبلوماسي الفرنسي شوفالبييه دارفيو أيضا حول اغتيال الدايات " الأغا الذي يريد الحكم لفترة طويلة عليه معرفة ثلاث من الأمور أولها أن لا يتعرض لإيذاء أي عسكري وقت صرف الراتب، وثانها أن يصرف المرتبات في أوقات مضبوطة ومنظمة، وثالثها أن يرفع المرتبات من سنة إلى أخرى" وتحدث أيضا عن الظروف المحيطة بمن يتولى السلطة " الجزائر مملكة وقائدها في خطر، ومهدد من الميليشيا التي تعتبر السيدة وهي الأكثر شغبا وهيجانا وعصيانا⁵⁸ يوافق بوتى دي لا كروا هذا الرأي أيضا إذ يقول " هناك تسع وأربعون باشا حكموا أسيدا، لكن الأغلبية منهم تم اغتيالهم من طرف الميليشيا⁵⁹، تحدث جين أندري بايسونال الذي عاصر عبدي آغا عن هذا أيضا، لأنه عرف حقيقة الصراع على السلطة فتحدث عن "تخوف عبدي آغا من علي خوجة أن يأخذ مكانه... اعتبره جاسوسا وطلب أن يمثل أمامه"⁶⁰

أما عن الفتن فتحدث لوجي دي تاسي حولها خصوصا التي تصاحب اختيار الداى قائلا: " إن اختيار الداى عادة ما يكون مصحوبا بالقتل والفتن، مثلما حدث عام 1710 م عند تنصيب علي داي، حيث حصل صراع قوي بين الفرق حول هذا الشأن"، نقل الدكتور شاو عن دي تاسي كل ما يخص انتخاب الداى وتقليده منصبه والاحتفالات المصاحبة لهذا الحدث السياسي⁶¹، حيث كتب نقلا عنه: "أنها تتم بالأغلبية من أصوات الحاضرين في عملية الانتخاب، هذا الأمر لا يستغرق إلا ساعة أو اثنين تنتهي بإرسال طلقات مدافع من القصر بأنه قد تم اختيار داي جديد"⁶² تحدث شاو أيضا عن تنصيب الداى علي شاوش " نصب الداى علي بعد فترة شهدت فيها مدينة الجزائر كثرة قطاع الطرق، فحاول في الأشهر الأولى من حكمه وضع حد للعنف والتصدي لكل من يريد التمرد، ووضع تغييرات عديدة في السلطة فقتل حوالي ألف وسبعمائة شخص من بينهم خمسمائة انكشاري⁶³، كما ذكر شاو حول هذا العهد: " تميز عهد علي شاوش بإدخال تعديلات على

رفض الديوان الممثل للحامية استقبال الباشا ممثل السلطان أصبح الداى أو رئيس الحامية منذ ذلك اليوم صاحب السيادة في حكم الجزائر⁵⁰، لقد أقر هابنسترايت في حديثه هذا أن عام 1710 هو الفاصل الزمني الذي أصبح فيه الداى صاحب السيادة في حكم الجزائر ويتمتع بسلطة مطلقة، وأيده في هذا أيضا فونتير دي باراداي حول أن سنة 1710م هي السنة التي انفصلت فيها الجزائر عن الدولة العثمانية، وتوقف الباب العالي عن إرسال الباشوات إلى الجزائر.⁵¹

أغلب المراجع سواء كانت العربية أو الأجنبية تكرر فكرة الاستقلال التام للجزائر عن الدولة العثمانية بداية من القرن السابع عشر، وفقا لاعتبارات عدة منها التحالفات والاتفاقيات التي كانت توقع مباشرة دون العودة للسلطان العثماني، بل إن الدول الأوروبية وفي أغلب المصادر التي اطلعنا عليها تحذف اسم الإيالة وتكتب مباشرة الجزائر ككيان وبلد لا كإقليم عثماني، وعدم حدوث الانفصال الفعلي إنما من باب أن الدولة العثمانية كانت تمثل مركز الخلافة الاسلامية لكننا ومع مطالعنا وتحليلنا لبعض المراسلات تبين أن الجزائر ظلت إيالة عثمانية تآتمر بأوامر الباب العالي حتى عام 1827م، أين تحطم الأسطول العثماني في الحرب اليونانية العثمانية و فرض الحصار على السواحل الجزائرية وتم التحكم في السفن الوافدة أو المغادرة من ميناء الجزائر.

أما حول تولية الداى عبدي فيقول فونتير دي باراداي " بعد وصول الداى عبدي إلى السلطة أصبحت العلاقات مع الباب العالي محددة"⁵²ويقول أيضا" في سنة 1727م أرسل السلطان باشا، لكن منع من النزول رغم محاولته التفاوض مع ممثلي الداى فاضطر للعودة"⁵³، وفي سنة 1729م وصلت بعثة من الباب العالي، لفرض باشا قريب من الداى، فلم يسمح له بالنزول، ورغم هذا بقيت العلاقات مستمرة، لكن الجزائر أعلنت سيادتها في سياستها الخارجية⁵⁴، وحول الداى شعبان تحدث فونتور دي باراداي: " أن الداى شعبان كان له طموح في توسيع نفوذه وتثبيت نظامه، وكان يعتقد أنه يمكنه أن يحكم كل المدن وغيرها من الكيانات السياسية⁵⁵، تحدث فونتير أيضا عن الجيش وعلاقته بالدايات قائلا: " يمتلك الجيش المعروف بالحامية السلطة العليا في مملكة الجزائر، فهو يقبل الدايات ويعين آخرين مكانهم حسب رغبته وغالبا ما تنتهي حياة الداى بالقتل، حتى أصبح الداى الذي يموت دون

مسيحية افتكها العرب المسلمون المتوحشون والهمجيون⁶⁸، ومن هنا نتأكد أن وصف الوضع السياسي إنما يخضع لذهنية الرحالة أولا وإلى الهدف من الرحلة الذي يسقط تحت غائية القضاء على الجزائر ثانيا، أما عن الاضطرابات السياسية فتعود إلى أسباب عدة منها دخول المغامرين إلى الجيش من جنسيات مختلفة، بالإضافة إلى حب المناصب والثروة، ويعتبر الداوي حسين كمثال، فقبل توقيع معاهدة الاستسلام إنما كان يفاوض لأجل ثرواته، وفعلا تقرر منحه جميع ثروته حتى آخر فلس، وهناك أيضا اعتراف صغير ختم مهمة الدايات في الجزائر وسبب تواجدهم وقد أغفله الرحالة لكن ذكره الأسير سايمون بفايفر في مذكراته لما أنهى رسالته عن الجزائر "إن أمر الجزائر قد انتهى، ولكن هذا شيء غير مهم، المهم أن يعيش سلطاننا، فإن له حيثما ذهب منطقة أكثر ازدهارا وثباتا من الجزائر"⁶⁹

ثالثا: الثورات والتمردات على السلطة

الفرع الأول: ثورات الكراغلة

الفئة الكراغلية هي الفئة الناتجة زواج تركي جزائرية يذكر هابنسترايت أن الكراغلة "هم أطفال الأتراك الذين نتجوا عن ارتباطهم بالعائلات الجزائرية الأهلية عن طريق المصاهرة وأورد هذا قائلا: "الكراغلة هم المنحدرون من آباء أتراك وأمهات جزائريات"⁷⁰، بينما لوجي دي تاسي فكتب: "أهم أبناء الأعلاج من النساء الجزائريات، لا يعتبرون أولاد الأتراك بل يسمون كراغلة، ولا يحضون بكثير من الاهتمام، نتيجة علاقة الدم التي تربطهم بالجزائريين"⁷¹

أما عن علاقة السلطة بالكراغلة، ذكر الدكتور شاو قائلا "على الرغم من استلام الكراغلة مناصب في الجيش كجنود، لم يستطيعوا الوصول إلى مناصب مختلفة في الدولة، ولم يستفيدوا من الامتيازات الممنوحة للأتراك، فلجأت الحكومة إلى فرض قيود لتجنب زواج الجنود بنساء البلاد خوف الوقوع في مشكل وتزايد عدد عائلاتهم"⁷².

إن استبعاد الحكام الأتراك للكراغلة كان له أسبابه، إذ أن اعتزاز التركي بأصوله ولغته، حتى أن اللغة العثمانية ظلت متداولة طيلة فترة حكمهم. هناك تبرير لطيف لخشونة الأتراك يورده وليام شالر بقوله "الأتراك جديرون بالثقة في

السلطة، فبعد الغاء منصب الباشا عام 1711م، وتدهور نفوذ الديوان الصغير الذي اختفى وحل محله مجلس الموظفين الكبار والديوان الكبير، الذي حدد نشاطه في نطاق الاحتفال الشكلي بمناسبة الأعياد الدينية وحفلات توزيع الأجور كل شهرين في قصر الداوي، أما المقاطعات أو البايكات، فتحكم من طرف البايات، أو نواب الداوي وتعطى لهم حرية التصرف حسب رغباتهم، شريطة أن يدفعوا ما يتوجب عليهم من مداخيل مقاطعاتهم، يحملون هاته المداخيل إلى الجزائر بتشريقات تليق بمقامهم⁶⁴، تحدث لوجي دو تاسي عن هاته المداخيل: "أن مداخيل الداوي ذات قيمة معتبرة، تبلغ مائتي ألف قرش، الجزء الأكبر منها يودع في الخزينة الموجودة في مكان أمين، لا يمكن الدخول إليه إلا الخزناني، يصاحبه لدى دخوله إليه أحد الأسرى ويكون مجردا من الملابس دفعا للشبهة"⁶⁵

أما عن ازدواجية الحكم بين الداوي والباشا، كان بوتو دولاكروا معاصرا للداوي شعبان وقد تحدث حول هاته النقطة "أرسل السلطان مصطفى ليكون باشا في الجزائر، وكان راتبه 1500 ايكيس خلال شهرين، كان يضع خاتمه في كل وثائق الدولة وهو ممثل السلطان في مدينة الجزائر، بينما راتب الداوي شعبان خوجة حوالي 160 ايكيس خلال السنة، وهو المتصرف في أملاك المملكة، ويشرف على عملية دفع رواتب الجنود⁶⁶، أما عن ثراء الباشوات فقال: "أن عددهم وصل تسع وأربعون باشا، حكموا أسيدا وسيطروا مرات عديدة على تونس وطرابلس ولكن غالبيتهم تعرضوا للاغتيال"⁶⁷.

إن أغلب ما تناوله الرحالة حول الأحداث المصاحبة لتولية الداوي والاعتقالات أقرب للصحة إن أغفلنا الظروف الاجتماعية والاقتصادية والمناخية التي كان لها الأثر البالغ في الاضطرابات لتلك الفترة. وتجاهلنا أن الرحالة في حد ذاتهم قد زاروا الجزائر في فترات لا تتعدى السنة أو اثنين، عدا الدكتور شاو الذي تعدى اثنتي عشر عاما ولم تكن زيارة مقيمة بل تخللتها زيارات لتونس وبيت المقدس، إضافة إلى أنه من رواد المذهب الانجليكاني، الذي يؤمن بدونية الغير وازدراءهم، وفي هذه النقطة تقول الباحثة زهور زيزي "في الواقع لا الشرق الأوسط ولا شمال افريقيا كانا يثيران فضول الدكتور شاو، إنه ينظر إلى هاته الأراضي على أنها أراضي

المالية للسلطة وأن خطوط التماس بينهما كثيرة ومتعددة، وذكر أيضا أن سبب العلاقة السيئة هو لما بيديه البايات من قسوة وغلظة تجاه الأهالي بهدف إجبارهم على دفع الضريبة المفروضة عليهم قبل حكام الجزائر⁷⁶، الشيء نفسه يؤكد دي تاسي " يحتل الأتراك العثمانيون الذين تعد غالبيتهم من الجنود مناصب بالإيالة تناسب رتبهم وفقا لأقدميتهم، وهم يحكمون هاته الإيالة بكثير من الاستبداد"⁷⁷، أشار لوجي دي تاسي أيضا إلى أن المظالم التي كانت تمارس ضد السكان، أدت إلى انتشار حركات التمرد في عموم البلاد، وذكر " أن الداى محمد بن حسن (1718-1724) تم انتخابه دايا بعد مرض الداى علي، بيد أن فترته حصلت بها صعوبات كبيرة مع السكان من خلال رفضهم دفع الضرائب والرسوم المفروضة، فحملوا ضده السلاح واضطر الداى للتدخل لاستعادة النظام وفرضه، لكن السلام كان نسبيا والانتفاضات نشبت بعد فترة وجيزة، قتل الداى محمد بن حسن بعدها"⁷⁸.

تحدث مارمول كاربخال حول تمرد سكان زناته: "من عادة هؤلاء البرابرة الدخول في خصومات ونزاعات حول السلطة مما يسبب التقاتل الشديد بينهم، يحملون العداء الشديد للأتراك، ولم يتوصل هؤلاء لإخضاعهم في يوم من الأيام لا باللين ولا بالإكراه"⁷⁹، ذكر كاربخال أيضا: "في عهد مولاي حسن استسلمت المدينة للأتراك فأقاموا بها حامية ولكنهم أظهروا في حكمها قساوة وشدة، هم السكان بالثورة عليهم إلى أن جاء عام 1568م، حيث أقدموا على قتل العامل وإبادة الحامية واسترجاع حرية المدينة"⁸⁰، يصف لوجي دو تاسي مقتله: "خرج الداى محمد باشا كعادته لتفقد أمور الدولة، لكنه اغتيل من طرف أتراك كانوا في انتظاره داخل بوابة إحدى الثكنات، حيث أصيب بطلق ناري، فسقط دون أن ينطق بكلمة"⁸¹.

بينما يرى الرحالة الروسي كوكوفتسيف، الذي شارك في محاربة الأسطول التركي في البحر الأبيض المتوسط رأيا آخر، وقد أثر ذلك بشكل واضح على انطباعاته " أن فقر وبؤس السكان مردّه إلى الأمية والحكم التركي المضطرب الذي لا نظام فيه ولا يساعد على نشر العلوم والفنون" ويقول أيضا " أن طراز الحياة يشبه إلى حد ما تونس، إلا أن الجزائر تعاني أكثر من نير الحكومة القاسية"⁸²، أما توماس شاو فتحدث عن

كلمتهم ، ويتصفون باللباقة لكنهم حين يجدون أنفسهم في الحياة السياسية يكتشفون في أنفسهم وحشية فظيعة"

أما عن تمرد الكراغلة كتب ج. أ. هابنسترايت قائلا: " كانت توقعات الأتراك صائبة حول خطر تمرد الكراغلة، إذ ما لبثت أن حدثت العديد من المؤامرات، وكانت أول مؤامرة عام 1629م ضد الانكشاريين لطردهم من البلاد، بيد أن رد الانكشاريين كان سريعا وتمكنوا من السيطرة عليهم وطردهم من مدينة الجزائر وتفرقوا عبر مختلف أنحاء البلاد"⁷³.

وذكر أيضا " بعد الوباء الكبير (1648-1650) اضطر الانكشارية قبولهم في الجيش دون تحميلهم المسؤولية"⁷⁴ ويضيف هابنسترايت " ونستطيع أن نضيف سببا آخر غير مباشر لثورات الكراغلة، وهو القوانين التي كانت السلطة العثمانية تطبقه على آبائهم حين يتزوجون، حيث يحرمونهم من الخبز والمسكن، الذي كانوا يحصلون عليه مجانا لما كانوا عزابا"⁷⁵ وهذا الاجراء إنما من أجل ردع الأتراك من الزواج بالجزائريات حتى لا يختلط العرق ، إن هاته التصرفات وحتى لا يكون حكما مطلقا، مع أن جميع المصادر العربية والأجنبية تؤكد جزئية أن الكراغلة محرومون حتى من الحصول على مناصب في السلطة، يحيلنا مباشرة إلى تساؤل جوهري: لماذا وضعت الدولة العثمانية على رأس السلطة في الجزائر أتراكا، إن كانوا يخشون على العرق واختلاط الأنساب؟ وإن أجبنا لأنها ولايات تابعة لها، يمكننا هنا أن نعتزف أن كل الاضطرابات الداخلية والاستغلال الممارس على السكان وعلى الثروات هو تصرف طبيعي لعامل وضع على هرم سلطة لإقليم لا ينتمي إليه، إلا بقدر انتماء أي قطعة أرض أخرى لوطنه.

الفرع الثاني: ثورات السكان

أورد الرحالة هابنسترايت في مواضع عدة الظروف التي كانت تشهدها الإيالة والتي اتسمت عموما بالاضطراب وسوء العلاقة بين السلطة والسكان حيث ذكر " أنه خلال سفره من عنابة إلى قسنطينة، مر مرافقوه بمناطق جبلية يحافظ سكانها على استقلالهم وهم في حرب دائمة مع رجال البايك" و أشار إلى حالة التمرد التي كانت عليها القبائل والتي تتواجد بمنطقة الشرق، حيث كانت في عداء مستمر مع البايك... وكانت تقوم بالإغارة من حين إلى آخر على قبائل المخزن

أحمر⁸⁸، ذكر مارمول كاريخال أيضا حول تحرير بجاية من الاسبان: " أنه عام 1555م قام صالح رايس بمحاصرة بجاية من البر بأربعين ألفا من المقاتلين، وبعد أن اقتحم الحصن الامبراطوري الذي غادره الإسبانين، حاصر حصن البحر ولم يكن بداخله سوى أربعين من الجنود، وبعد ضربه مدة 22 يوما، تعذر الصمود على من بداخله، فاضطر قائدهم ألفونسو الى الاستسلام بعد أن أخذ عهدا بإخلاء سبيله، بيد أن ألفونسو لما عاد إلى اسبانيا قطع شارل الخامس رأسه هو ومن نصحوه بالاستسلام، ومنذ ذلك الوقت وبجاية تحت حكم الأتراك⁸⁹.

ثانيا: العلاقات مع الدول الأوروبية

بما أن الرحالة بوتي دي لاكروا فرنسا فقد اهتم بكل ما يتعلق بأمر بلاد في الجزائر، حيث ذكر " أن فرنسا كانت لها معاهدة سلام مع الجزائر لكنها تخلت عنها، ثم عادت في عهد الداى شعبان لتجديدها⁹⁰، ويقول دي لاكروا أيضا حول هاته المعاهدة: " ... ولاستئناف المفاوضات مع فرنسا، أرسل محمد الأمين خوجة، وتم توقيع المعاهدة في 26 جويلية 1690⁹¹

شهد القرن الثامن عشر، ظهور تيار فكري، نادى بإعادة النظر في تقييم الآخر، ومن الذين نادوا بها بايسونال ولوجي دي تاسي، ولي روا، إذ يذكر لي روا في مقدمة كتابه: " ستغمرني سعادة كبرى إذا استطاع كتابي أن يقدم نفعاً للدول الأوروبية المتعاملة مع الجزائر، إذا نجح في القضاء على الادعاء غير العادل الناتج عن تعصب مبالغ فيه ضد كل من هو تركي" ويحكي أيضا حول الفصل بين مسؤولية الحكومة ومسؤولية البحارة الخواص: " إن أعمال القرصنة لا تمارس إلا ضد الأعداء، وإذا تضررت بعض الدول الصديقة فهذا راجع إلى تصرفات في البحارة الخواص ولا مسؤولية للحكومة فيه"⁹².

بينما عن الالتزام بالمعاهدات فقد تحدث الرحالة الفرنسي فونتير دي باراداي عنها قائلا: "إن الالتزام بالمعاهدات من قبل الجزائريين ضرب من الخيال، فالجزائريون لا يعرفون معنى احترام نصوص الاتفاقية" حتى أنه يذهب إلى أبعد من هذا، إذ يقترح أن تتلخص نصوص الاتفاقيات في بندين أولهما السلام وثانيهما التأكد على المعاملة المتبادلة ولا داعي للاتفاق حول قضايا مختلفة⁹³ يبدو أن دي باراداي قد تناسى السلم

تمرد العرب: " يتميز العرب بثورتهم ضد الأتراك وطبيعتهم الاستقلالية، فهم يرفضون أي نوع من التبعية"⁸³

بينما عن تدابير حفظ النظام والتحكم في السكان يقول فونتير دي باراداي: " أن الشرطة وضعت قانونا معمولا به، أن يأوي جميع السكان إلى مساكنهم بعد ساعة ونصف من غروب الشمس، وأي شخص عثر عليه بعد ذلك دون فانوس، يلقي عليه القبض"⁸⁴، أما بالنسبة الأجانب فتم منعهم من حمل السلاح أثناء تجولهم في الشوارع، وشمل المنع القناصل وكبار الضباط، ويرجعه لوجي دي تاسي: " إلى ضيق الشوارع، بحيث يمكن لأي أجنبي يحمل سيفاً أن يلامس به أحد المارة أو الجنود الانكشارية، مما يسبب خصومات ومشاكل"⁸⁵

إن المتتبع لما أورده الرحالة حول علاقة السكان بالسلطة، أنها علاقة حاكم مستبد بمجتمع مغلوب على أمره، إن تأسيس الأوروبي لفكرة الاستعمار العثماني لبلدان المغرب قديمة قدم معرفته بأهمية هاته المناطق خصوصا الجزائر وموقعها الاستراتيجي، وفي سبيل الحصول عليها، سيفيده رسم صورة الحكام الأتراك المتوحشين والسكان المظلومين الذين سيخلصونهم هم من نير عبودية الأتراك وجشعهم، فجاءت التأليف الرحلية مغمورة بالتألب الشديد على الأتراك، دون أن ننس طبعا صحة الكثير مما جاء فيها.

المحور الرابع: السياسة الدفاعية للحكام وطريقة تعاملهم

مع الدول الأوروبية:

أولا: تحرير المدن الجزائرية

أورد هابنسترايت حول هجومات الاسبان قائلا: " طلبت من الداى مغادرة مدينة الجزائر، لكنه رد ضاحكا أن يكون طلبى هذا خوفا من قنابل الاسبان"⁸⁶، كما يذكر أيضا حول مناورات الاسبان لاحتلال وهران " كانت هناك استعدادات اسبانية في ميناء مالقة لمهاجمة الجزائر، ومن الراجح أن يتوجه الأسطول الاسباني إلى وهران، الذين يحاولون استرجاعها"⁸⁷، كما تحدث مارمول كاريخال أيضا عن احتلال وهران: " إن عملية الغزو كانت أسهل مما كان متوقعا، وذلك لأن عامل المرمى الكبير كان قد اتفق مع يهودي واثنين من المسلمين قائمين على تحصيل جباية الأبواب، على أن يسلموا له المدينة في موعد مضروب، ولما رأى المسلمون الحشود خرجوا دفعة واحدة لقتالهم، وعندئذ منحت الفرصة للمتآمرين فأغلقوا الأبواب ونصبوا على أحد الأبراج صليبا

ومن خلال مما سبق نستخلص:

- أن الرحلة لا تعتبر ذا قيمة تاريخية ما لم يتبعها التدوين، فالكتابة الرحلية مهمة معلوماتيا وبحثيا لمعرفة الأقاليم وظروف معيشتهم وطبيعة أنظمتهم، ومنذ بداية العصور الحديثة كثرت الرسائل الرحلية للتطلع إلى الأقاليم الأخرى والبحث عن مستعمرات جديدة.
- أن الجزائر كغيرها من بلدان الوطن العربي، قديم إليها الكثير من الرحالة بغية استطلاع واستكشاف مناطقها والحصول على خيراتها، خاصة بعدما علا كعب أسطولها البحري في البحر الأبيض المتوسط وللوقوف على استراتيجيتها ونظامها الداخلي، اهتم أغلب الرحالة الأوروبيين بالوضع السياسي، وحسب ما أوردوه في كتاباتهم حول صورة الجزائر السياسية خلال العهد العثماني، أن الجزائر انضوت تحت الحكم العثماني بعد استنجد السكان بالأخوين بربروس، وصارت بعدها ولاية عثمانية، تم فيها توحيد البلاد سياسيا وقسمت إلى ثلاث بايلكات ومر الحكم فيها بأربعة عهود انتهت بالاحتلال الفرنسي للجزائر.
- أن الرحالة الأوروبيون اهتموا بالجانب السياسي للجزائر خلال العهد العثماني وكتبوا عنه رغم اختلاف اختصاصاتهم ودوافعهم وتوجهاتهم وهذا راجع للطابع الاستعماري الخفي الذي أوفد به الكثيرون منهم، نقلوا لنا من خلال مؤلفاتهم ظروف البلاد السياسية خلال الفترة العثمانية، تحدثوا فيها عن جوانب عديدة تخص مدينة الجزائر وقوتها، وظروف تولية الحكام والاعتقالات التي تعرضوا لها، كما تحدثوا عن ثورات وتمردات السكان نتيجة السياسة التعسفية والضرائب التي أهكت كاهل الشعب بمختلف أعراقه ومناطق تواجد، كما اهتم الرحالة بذكر السياسة الدفاعية التي تنتهجها الجزائر للذود عن مناطقها وحماتها من الغزاة، والعلاقات السياسية مع الدول الأوروبية فيما يتعلق بالمفاوضات وتوقيع المعاهدات، وعلى الرغم من المرجعية التي جاء بها الرحالة والأهداف والجهات التي تكفلت بإرسالهم، وكذا مدى مصداقية مؤلفاتهم، تبقى هاته التأليف مرجعية تاريخية لنقص المؤلفات المحلية، وإن وجدت فهي تفتقر إلى العمق وغزارة الموضوعات، فهناك فرق بين أن يكتب رحالة غربي عن القضايا بتفاصيل دقيقة، عن رحالة محلي يعايش هاته القضايا ويرى أغلب ما يلاحظه عاديا ولا يستحق أن يكتب عنه.

المثوي الذي كان بين بلده والجزائر والذي تخللته العديد من الحملات، فكل ما تحظى بنوع من السلام الأوروبي أو توقع تحالفا ترسل حملة ضد الجزائر، يؤيد روتالي الرحالة دي باراداي إذ أجزم" أن نكث المعاهدات أمر غريزي لدى الجزائريين، ولا يتسنى للجزائر أن تعيش إلا عن طريق الحرب لما توفره لها من ثروات"⁹⁴. وهذا كلام به القليل من الصحة، فالجرب كانت السبيل الوحيد للأمم الغربية كما العربية للحصول على القوة والثروة في تلك الفترة.

ويذكر ج. أ. هابنسترايت" من المؤكد أن انعدام الطاعة في صفوف الجند ونقص التدريب على استعمال الأسلحة، جعلت الجزائريين عاجزين عن التصدي لأي دولة أوروبية، فموقع الجزائر المتدرج نحو البحر، جعلها عرضة للقبائل المدمرة، وهذا ما حدث لها عام 1683م، عندما قصفها الفرنسيون من البحر"⁹⁵.

زار هابنسترايت الجزائر في النصف الأول من القرن الثامن عشر وهو عهد تراجع فيه الجهاد البحري كثيرا وكثرت الفواجع الطبيعية واعتمدت فيه الجزائر فقط على صادراتها خصوصا القمح، تعويضاً عن الضعف البحري، لهذا تعرضت للعديد من الحملات الأوروبية وكثرت التحالفات ضدها، لكن جزئية أن الجزائريين كانوا عاجزين عن التصدي لهاته الحملات، فالواقعي أن هاته الحملات جميعها باءت بالفشل.

وحول سياسة الجزائر وموقف الدول الأوروبية منها أبدى هابنسترايت رأيه من جانب أن الدول الأوروبية في نظره باختيارها طريق التفاوض و إبرام معاهدات السلام مع دول المغرب" البربر سك" ذلك لأن علاقاتهم كانت مترعزة وغير ثابتة، وأن من المفيد لأوروبا أن تتحد للقيام بعمل هجومي ضد الجزائر مركز اللصوصية"⁹⁶، وفي نفس السياق يقول الرحالة بوتي دي لاكروا "عندما ترغب في التفاوض مع الجزائر، فإنه يذكر علنا في الديوان بحضور الداي، الذي يخاطب بالسيد العظيم والرائع وكل الكلمات الفخمة"⁹⁷. بينما تحدث شوفالييه عن العقود: "أن للباشا كل الشرف، اسمه في أعلى العقود والمعاهدات، كما أنه يزار في الساعات الأولى من العيد وكذا أيام الاحتفالات"⁹⁸.

خاتمة:

8. سايمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، دط، تع: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

9. صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، ط2، دار هومة، الجزائر، 2007

10. عثمان الكعك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، دط، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 00.

11. فونتي دي باراداي، الجزائر خلال القرن الثامن عشر، دار كوكب العلوم، دط، تر: لخضر بوطبة، الجزائر، 2022م.

12. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج3، دار الجمل، بيروت، 00.

13. مارمول كاربخال، إفريقيا، دط، مطابع المعارف الجديدة، المغرب، 1984م.

14. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مج1، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م.

15. مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة خلال العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981م.

16. وليام شالر، مذكرات وليام شالر (قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1820)م، تع: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981م.

• الأطروحات

1. حمدون بن عتو، الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830) من خلال كتابات الرحالة والجواسيس ورجال الدين. الكتابات الفرنسية والاسبانية أنموذجا، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجليلي اليابس، وهران، 2017

2. حنان لطرش، السلطة والمجتمع في الجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في تاريخ الجزائر، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2006م،

3. خيرة الطار، الرحلة والرحالة في الدولة العثمانية (رحلة volney أنموذجا)، رسالة ماستر في التاريخ الحديث، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013م

3. زكريا العابد، الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوروبية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الأمير عبد القادر، 2007م.

ويمكننا إعطاء بعض الاقتراحات:

على الرغم من الآراء الكثيرة والمتباينة حول صدق الكتابات الأوروبية حول الوضع السياسي للجزائر خلال الفترة العثمانية، فهناك من تحامل وأعطى صورة سيئة عن الجزائريين وأيد الأتراك العثمانيين في نهجهم وشدتهم على الشعب، وهناك من تعاطف وأبدى إعجابه بالجزائريين في الذود والدفاع عن وطنهم، مع أني حاولت اختيار آراء الرحالة الموضوعيين حسب ما ذكرهم المؤرخون في كتاباتهم، دون أن ننف طبعاً ميول الرحالة وأهدافهم الخفية وغير المعلنة من الرحلة ذاتها، لذا قبل الخوض في البحث عن النصوص الرحلية وجب دراسة صاحب الرحلة والظروف التي تمت فيها والهدف منها وكذلك الفترة التي تمت فيها لأن القرنين السادس عشر والسابع عشر يختلفان عن القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فالظروف السياسية الداخلية والعالمية قد تغيرت وتبع هذا التغيير الوفود الرحلية.

المراجع:

أولاً: المؤلفات العربية

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دط، دار الغرب الإسلامي، 1989م.

2. أبي الفضل ابن منظور، لسان العرب، مج1، دار المعارف، تع: عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة، دت،

3. احميدة عميرواي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دط، دار الهدى، الجزائر، 2003م.

4. بلقاسم قرياش، العلاقات الجزائرية الانجليزية من منظور انجليزي (1550-1620)، ط1، بحوث ودراسات تاريخية، الجزائر، 2018م،

5. ج.أ. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أ. هينسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732)، دط، دار الغرب الاسلامي، تر: نصر الدين سعيدوني، تونس، 2008م،

6. جون.ب. وولف، الجزائر وأوروبا، دط، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.

7. حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، دط، عالم المعرفة، الكويت، 1989م.

3. عائشة غطاس، نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، ع:2، 1988، الجزائر.

4. عبد العالي غزالي، صورة الجزائر في مصادر الرحلة الغربية خلال العهد العثماني (رحلة هابنسترايت أنموذجا)، الحوار المتوسطي، مج:9، ع:1، مارس 2018م،

5. عبد العزيز بوباكير، الرحلات الروسية إلى الجزائر، حوليات جامعة الجزائر، الجزائر، 1997م.

6. محمد بوشنوفي، ظاهرة الصراع السياسي والاعتقالات في الجزائر خلال العهد العثماني (1520-1839)م، الحوار المتوسطي، ع:1، 2009

7. موسى بن موسى، محمد العايب، إيالة الجزائر والجزائريون، أحوالهم، معاملاتهم، وعلاقتهم بالسلطة في النصف الأول من القرن 18، مدارات تاريخية، مج:2، ع:5، 2002م.

8. مؤيد المشهداني، أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج:5، ع:16، 2013م،

9. ميشيل آبار، الجزائر في القرن التاسع عشر لرحالة إسكتلندي، الجزائر، مجلة الثقافة، ع:3، تر: حنفي بن عيسى، 1971م.

ثانيا: المؤلفات الأجنبية

1.H. D. Gramont. Histoire d'alger sous la domination turks (1515-1830), Ernest le roux éditeur, paris,1885.

2. Laugier Du tassy, histoire de royaume d'alger Henri de sauzet. m.d. cc.xxv Amsterdam,1972,

1. Jaune André Peyssonnel, voyage dans la régence de Tunis et d'Alger, édition la découverte, paris,1987.

2. La crois, Petits, (1659), Alger, un mémoire sur Alger, édition la typelitlio et jale carbone.

3. Mahfoud Kadache, L'Algérie durant la période ottoman, office des publication universitaires, Alger, 2003.

4. Marcel, emirit, un mémoire sur Alger par petits de la crois ,Annales de l'institut d'étude d'Alger,1659.

5. Mouloud Gaid, l'Algérie sous les Turks, édition Mimoun ik, alger,1991.

6. Pierre Dan, Histoire de Barbarie et de ses corsairs, chez pierre rocolet, paris, 1673

7. thomas Shaw, Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique, etc. de cet état, traduit de l'Anglais par J. Mac Cathy, chez Marlin Editeur, paris, 1830.

• المقالات الأجنبية

1. Houda Baïr, les voyageurs cartographes en Tunisie au XVIII^e et XIX^e siècle, journal edition,2017.

2. Le Roy Christian. Une excursion à Leptis Magna en 1732 (CIL VIII, 1, 11, B.C.H , Vol 100, livr 1, 1976.

4.سعاد آل سيد الشيخ، الأوضاع الاجتماعية والثقافية بيوادي الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2020م.

5.صبرينة حمدوش، حكام الجزائر في الفترة العثمانية من خلال كتابات اجنبية (1516-1830)، رسالة ماستر في التاريخ وعلوم الآثار، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017م

6.صغير عبلة، السلطة والمجتمع الجزائري نهاية القرن 18 وبداية القرن 19م من خلال المصادر الأوروبية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2021م.

7.ضمير زويد، الجزائر في الصراع الاسباني العثماني (1518-1587) دراسة تاريخية، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق. 2006م .

8.عبد الجليل رحموني، اهتمامات المجلة الافريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520-1830)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجليلي اليابس، سيدي بلعباس، 2015م

9.فاتح بلعمري، الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة، رسالة دكتوراه علوم في التاريخ شعبه المدينة والحياة الحضرية والغرب الاسلامي ، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2017م،

10. فاتح سالم، الجزائر في ادبيات الرحلة والأسر من خلال الكتابات الأوروبية، مذكرة ليسانس في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، 2019م.

11. فوزية معمور، صورة الجزائر في عيون المستشرق فونتينر دي بارادي أواخر القرن 18، رسالة ماستر في التاريخ وعلوم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية ، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران.2016م.

• المقالات:

1. حميد آيت حبوش، الكراغلة ودورهم السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني، الحوار المتوسطي، ع:05، 2015م، الجزائر،

2. خميسي السعدي، الرحلات الأوروبية مصدر لتاريخ الوطن العربي (رحلة الدكتور شاو أنموذجا)، المجلة التاريخية الجزائرية، ع:14، 2021م.

¹⁶ H.D. Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), E. Leroux, paris, 1887, p1.

¹⁷ Houda Baïr, les voyageurs-cartographes en Tunisie au XVIII^e et XIX^e siècle, journal edition, 2017, p54

¹⁸ H.D. Grammont, Op.cit, p278.

¹⁹ صغير عبلة، السلطة والمجتمع الجزائري نهاية القرن 18 وبداية القرن 19م من خلال المصادر الأوروبية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2021م، ص 79.

²⁰ H. D. Gramont, op.cit, p196.

²¹ قام لودفيج بنسخ العديد من النقوش، ومن المفترض أن العديد من الملاحظات التي نشرها شاو قدمها له هابنسترايت، لأن العديد من النصوص وجدت متطابقة لكلا الرحالة. ينظر:

Le Roy Christian. Une excursion à Leptis Magna en 1732 (CIL VIII, 1, 11, B.C.H , Vol 100, livr 1, 1976. p373.

²² صغير عبلة، المرجع السابق، ص 81.

²³ مملكة الجزائر هي جزء من البربرية في إفريقيا، ولذلك يطلق على شعبيها وشعوب الممالك المجاورة بالبرابرة أو البربر. ويوضح لوجي دي تاسي مفهوم البربرية وأصول التسمية قائلا: البربرية وفقا لأفكارنا وتحيزاتنا تحتوي على كل ما هو قاس وظالم والأكثر تعارضا مع الأديان والطبيعة، ويعتقد غير المستنيرين أن البربري لديه طبيعة وحش افريقي تقوده غرائزه مثل الوحوش الشرسة، لكن أولئك المتحيزين لصالح الرأي العام سيخلصون بسهولة، لو أخذوا على عاتقهم عناء مطالعة التاريخ وكتابات الرحالة، وسيقنعون أن هناك عددا لا نهائيا من الشعوب في العالم والبعض منه في أوروبا يعيشون في جهل أكبر وهم أقرب للوحشية من سكان البربر. ينظر:

Laugier de Tassy, Jacques Philippe, Histoire du royaume d'Alger, avec l'etat présent de son gouvernement, de ses forces de terre & de mer, de ses revenus, police, justice politique & commerce, Henri Du Sauzet. 1725, p17.

²⁴ محمد الزين، "نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في اواخر عهد الدايات"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 17، 2012م، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ص 192.

²⁵ جوزفين كام، المستكشفون في إفريقيا، د ط، دار المعارف، تر: سيد نصر، القاهرة، 1983م، ص 23

²⁶ سعاد آل سيد الشيخ، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ببوادي الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات، اطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2021م، ص 113.

²⁷ فونتير دي باراداي، الجزائر خلال القرن الثامن عشر، دار كوكب

العلوم، د ط، تر: لخضر بوطبة، الجزائر، 2022م، ص 7.

3. Zizi Zehor, Thomas Shaw au Proche-Orient, 1721-1722 : élucidation et défense des Textes sacrés. In: XVII-XVIII. Revue de la société d'études anglo-américaines des XVIIe et XVIIIe siècles. N°67, 2010.

الهوامش:

¹ أبي الفضل ابن منظور، لسان العرب، مج 1، دار المعارف، تج: عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة، دت، ص 1609.

² الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج 3، دار الجمل، بيروت، 00، ص 394.

³ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مج 1، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م، ص 334

⁴ حسين فهيم، أدب الرحلات، د ط، عالم المعرفة، الكويت، 1989م، ص 15

⁵ خيرة الطار، الرحلة والرحالة في الدولة العثمانية (رحلة volney

أنموذجا)، رسالة ماستر في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013م، ص 13.

⁶ مؤيد المشهداني، أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج 5: ع 16، 2013م، ص 415.

⁷ ضمير زويد، الجزائر في الصراع الإسباني العثماني (1518-1587) دراسة تاريخية، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 2006م، ص 129-133.

⁸ وليام شالر، مذكرات وليام شالر (قنصل أمريكا في الجزائر 1816-

1820)م، تج: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981م، ص 34.

⁹ عبد العالي غزالي، صورة الجزائر في مصادر الرحلة الغربية خلال العهد العثماني (رحلة هابنسترايت أنموذجا)، الحوار المتوسطي، مج 9، ع 1، مارس 2018م، ص 112.

¹⁰ مؤيد المشهداني، المقال السابق، ص 417.

¹¹ Laugier Du tassy, histoire de royaume d'alger Henri de sauzet. m.d. cc.xxv Amesterdam, 1972, p404.

¹² ج، أ، هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أ. هينسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732)، د ط، دار الغرب الإسلامي، تر: نصر الدين سعيدوني، تونس، 2008م، ص 29.

¹³ صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، ط 2، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 277.

¹⁴ حميد آيت حبوش، الكراغلة ودورهم السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني، الحوار المتوسطي، ع: 05، 2015م، الجزائر، ص 10

¹⁵ عثمان الكعك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، د ط، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 00، ص 307.

de cet état, traduit de l'Anglais par J. Mac Cathy, chez Marlin Editeur, paris, 1830,p150.

⁴⁸ ibid,p152.

⁴⁹ محمد بوشنوفي، المقال السابق، ص26.

⁵⁰ ج.أ. هابنسترايت، المصدر السابق، ص27.

⁵¹ فاتح بلعمري، المرجع سابق، ص251

⁵² ج.ب. وولف، الجزائر وأوروبا، د ط، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م،

ص387.

⁵³ . H. D.de gramont. Op.cit, p285.

⁵⁴ Mahfoud Kadache, L'Algérie durant la période ottoman, office des publication universitaires, Alger, 2003,p154.

⁵⁵ جون. ب. وولف، المرجع السابق، ص388.

⁵⁶ نفسه، ص389.

⁵⁷ خميسي السعدي، الرحلات الأوروبية مصدر لتاريخ الوطن العربي(رحلة الدكتور شاو أنموذجا)، المجلة التاريخية الجزائرية، ع14، 2021م،

ص327.

⁵⁸ فاتح بلعمري، المرجع السابق، ص245.

⁵⁹ emirit Marcel, un mémoire sur Alger par petits de la crois (1659), annales de l'institut d'étude d'Alger,1953,p9.

⁶⁰ Jaune André Peysonnel, voyage dans la régence de Tunis et d'Alger, édition la découverte,paris,1987, p257.

⁶¹ فاتح بلعمري، المرجع السابق، ص247.

⁶² خميسي السعدي، المقال السابق، ص327.

⁶³ Mouloud Gaid, l'Algérie sous les Turks, édition Mimoun ik, alger,1991.p154.

⁶⁴ صالح عباد، المرجع السابق، ص251

⁶⁵ ج.أ. هابنسترايت، المصدر السابق، ص41.

⁶⁶ Emirit Marcel, op- cit, p19.

⁶⁷ Petits La croi, un mémoire sur Alger, édition la typelitlio et jale carbone, Alger, 1659,p9.

⁶⁸ Zizi Zehor, Thomas Shaw au Proche-Orient, 1721-1722 : élucidation et défense des Textes sacrés. In: XVII-XVIII. Revue de la société d'études anglo-américaines des XVIIe et XVIIIe siècles. N°67, 2010. p.22

⁶⁹ سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، د ط، تع: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص1.

⁷⁰ ج.أ. هابنسترايت، المصدر السابق، ص29.

⁷¹ Laugier Du tassy, op-cit, p79.

⁷² Shaw, thomas, op- cit, p185.

⁷³ حميد آيت حبوش، المقال السابق، ص11.

⁷⁴ صالح عباد، المرجع السابق، ص119.

⁷⁵ ج.أ. هابنسترايت، المصدر السابق، ص31.

⁷⁶ موسى بن موسى، محمد العايب، إيالة الجزائر والجزائريون، أحوالهم، معاملاتهم، وعلاقتهم بالسلطة في النصف الأول من القرن 18، مدارات تاريخية، مج:2، ع:5، 2002م، ص354.

²⁸ زكريا العابد، الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوروبية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، 2007م، ص112.

²⁹ حميدة عميراي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، د ط، دار الهدى، الجزائر، 2003م، ص11.

³⁰ ذكر مترجم هاته الرحلة "ناصر الدين سعيدوني" أن التعريف بشخصية هذا العالم النباتي ظلت مجهولة لدى القراء والباحثين، رغم بحوثه المستفيضة في مجال الطب وعلم النبات، فلا يكادون يعرفون عنه سوى معلومات متواضعة من خلال رحلته. ينظر: ج. أ. هابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 12-13.

³¹ الياس السبوعي، الرحلة مصدر هام لتاريخ الجزائر في العهد العثماني، مجلة العصور الجديدة، مج9، العدد3، نوفمبر 2019م، ص253.

³² ج.أ. هابنسترايت، مصدر السابق، ص17.

³³ حميد آيت حبوش، المقال السابق، ص ص 113-114.

³⁴ صغير عبلة، المرجع السابق، ص52.

³⁵ فاتح بلعمري، الحياة الحضريّة في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة، رسالة دكتوراه علوم في التاريخ شعبة المدينة والحياة الحضريّة والغرب الإسلامي، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2017م، ص59.

³⁶ عبد العالي غزالي، المقال سابق، ص112

³⁷ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، د ط، دار الغرب الإسلامي، 1989م، ص142.

³⁸ حنان لطرش، السلطة والمجتمع في الجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في تاريخ الجزائر، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2006م، ص23.

³⁹ مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة خلال العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1981م، ص13.

⁴⁰ فاتح بلعمري، المرجع السابق، ص110.

⁴¹ Pierre Dan, Histoire de Barbarie et de ses corsairs, chez pierre rocolet, paris, 1673,p136.

⁴² ج.أ. هابنسترايت، المصدر السابق، ص27.

⁴³ مارمول كاربخال، إفريقيا، د ط، مطابع المعارف الجديدة، المغرب، 1984م، ص4.

⁴⁴ نفسه، ص364.

⁴⁵ محمد بوشنوفي، ظاهرة الصراع السياسي والاغتيالات في الجزائر خلال العهد العثماني(1520-1839)م، الحوار المتوسطي، ع1، 2009، ص22.

⁴⁶Pierre Dan, op. cit, p116.

⁴⁷ thomas Shaw, Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique, etc.

- ⁷⁷ عبد الجليل رحموني، اهتمامات المجلة الافريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1830-1520)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2015م، ص62.
- ⁷⁸ صبرينة حمدوش، حكام الجزائر في الفترة العثمانية من خلال كتابات اجنبية (1830-1516)، رسالة ماستر في التاريخ وعلوم الآثار، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017م، ص36.
- ⁷⁹ مارمول كريخال، المصدر السابق، ص351.
- ⁸⁰ نفسه، ص12.
- ⁸¹ Laugier Du tassy, op- cit, p224.
- ⁸² عبد العزيز بوباكير، الرحلات الروسية إلى الجزائر، حوليات جامعة الجزائر، الجزائر، 1997م، ص153.
- ⁸³ بلقاسم قرياش، العلاقات الجزائرية الانجليزية من منظور انجليزي (1620-1550)، ط1، بحوث ودراسات تاريخية، الجزائر، 2018م، ص8.
- ⁸⁴ فاتح سالم، الجزائر في ادبيات الرحلة والأسر من خلال الكتابات الأوروبية، مذكرة ليسانس في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، 2019م، ص22.
- ⁸⁵ محمد بوشناق، النظام والأمن في الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال مصادر أجنبية، الحوار المتوسطي، ع2، 2010م، ص95.
- ⁸⁶ ج.أ. هابنسترايت، المصدر السابق، ص80.
- ⁸⁷ نفسه، ص43.
- ⁸⁸ مارمول كاريخال، مصدر سابق، ص329.
- ⁸⁹ نفسه، ص352.
- ⁹⁰ Emirit Marcel, op- cit, p20.
- ⁹¹ Mouloud Gaid, op-cit. p149.
- ⁹² عائشة غطاس، نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، ع:2، 1988، الجزائر. ص116-117.
- ⁹³ حمدون بن عتو، الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني (1830-1518) من خلال كتابات الرحالة والجواسيس ورجال الدين. الكتابات الفرنسية والاسبانية نموذجا، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، وهران، 2017م، ص58.
- ⁹⁴ عائشة غطاس، المرجع السابق، ص123.
- ⁹⁵ ج.أ. هابنسترايت، المصدر السابق، ص40.
- ⁹⁶ فوزية معمر، صورة الجزائر في عيون المستشرق فونتر دي بارادي أواخر القرن 18، رسالة ماستر في التاريخ وعلوم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2016، ص18.
- ⁹⁷ حمدون بن عتو، المرجع السابق، ص59.
- ⁹⁸ فاتح بلعمري، المرجع السابق، ص252.